التلبية معان و هدايات

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد: فإنَّ كلمات التَّلبية: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ**» كلماتٌ جليلة، لها شأن عظيم في الحجِّ، فهي شعار الحجِّ وأفضلُه، فقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ أيُّ الحجِّ أفضل؟ فقال: «**العَجُّ وَالثَّجُّ**» **رواه التِّرمذي**، والعجُّ: رفع الصَّوت بالتَّلبية، جاء عن مجاهد رحمه الله، قال: «شِعَارُ الْحَجِّ التَّلْبِيَةُ» **رواه ابن أبي شيبة**، وهي زينة الحجِّ ومن أعظم شعائره، ففي المسند عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **جَاءَنِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أَصْحَابَكَ، فَلْيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**زِينَةُ الْحَجِّ التَّلْبِيَةُ**» **رواه أحمد**، وهي هدي المرسلين، ففي صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ فَقَالَ:«**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى، فَقَالَ: «**أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟**» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى،

قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي.».

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُكثر منها في حجِّه، ويرفع بها صوته، بل لم يزل يلبِّي ﷺ حتَّى رمى الجمرة. متفق عليه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يبلغون الرَّوحاء حتَّى تُبحَّ أصواتهم من شدَّة تلبيتِهم رواه ابن أبي شيبة.

وكلُّ ما حول الملبِّي من حجر أو شجر أو مدر يُلبِّي معه، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا» رواه التِّرمذي.

فالتَّلبية شأنها عظيم، وأثرُها عميق لمن أكرمه الله سبحانه وتعالى بالإحسان فيها: عِلمًا بمعناها، وعملًا بمقتضاها، وتحقيقًا لمقصودها، لا أن يُؤتى بها ألفاظًا مجرَّدة، لا يعي قائلُها معناها ولا يعرف مدلولَها ولا مقصودَها.

فالواجب على كلِّ مَن أهلَّ بهذه الكلمات أن يَعرف ما دلَّت عليه من معنًى، وأن يستحضر ما تضمَّنته من دلالة، وأن يحقِّق ذلك، ليكون صادقا في إهلاله،

موافقـًا كلامُه حقيقةَ حاله؛ بحيث يكون مُستمسكـًا بالتَّوحيد، محافظًا عليه مراعيًا لحقوقه، مجانبًا لنواقضه وما يضادُّه.

والتَّلبية في اللُّغة مصدرٌ للفعل «لبَّى» على وزن «زكَّى»، يقال: «لَبَّيْتُ بالحجِّ تَلْبِيَةً»، ولَبَّيْتُ الرجلَ إذا قلتُ له: «لبَّيك».

وأمَّا أصل معناها فإنَّه يرجع إلى الإجابة والانقياد ولزم الطاعة. فحقيقتها استجابةٌ لله، وإذعانٌ لأمره، وانقيادٌ لشرعه، وخضوعٌ لحكمه، ودخولٌ في طاعته، ومعاهدةٌ من العبد بالتزام وامتثال أمر سيِّده وخالقه ومولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكلماتُ التَّلبية كلماتُ توحيدٍ لله تعالى، لمَّا روى جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حجَّة النَّبيِّ ﷺ في حديثه الطَّويل وهو مخرَّج في صحيح مسلم وغيره قال: «فَأَهَلَّ رسول الله ﷺ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ»؛ فوصفَ كلماتِ التَّلبية بأنَّها التَّوحيد، فهي كلمات توحيد لله عَزَّوَجَلَّ وإخلاصٍ، ونبذٍ للشِّرك وبراءةٍ منه، وتَكرار الحاجِّ لهذه الكلماتِ في تنقُّلاته في حجِّه يُعَدُّ تجديدا للتَّوحيد، وتقويةً له في القلب، وتوسيعا لمساحته في النَّفس.

أوَّلها: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» وآخرها «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ»، فجمعتْ في أوَّلها وآخرها بين التَّوحيد

بنوعيه العملي والعلميِّ، لأنَّ التَّوحيد الَّذي خلقنا الله لأجله نوعان: علم وعمل.

دلَّ على الأوَّل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، أي: إلَّا ليعبدوا الله وحده مخلصين له الدِّين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد انتظمته التَّلبية في قوله: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ».

ودلَّ على الثاني قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12]، فمقصود الخلق العلم بالله وعظمته وكماله وجلاله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وقد انتظمته التَّلبية في قوله: «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ» فجاءت التَّلبية منتظمة التَّوحيدين جميعا.

وقد جمعتْ كلمات التَّلبية أيضا التَّوحيد بركنيه: النَّفي والإثبات، اللَّذَين لا توحيد إلَّا بهما؛ نظير كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله»؛ نفي العبوديَّة عن كلِّ من سوى الله وذلك في قوله: «لاَ شَرِيكَ لَكَ» وإثبات العبوديَّة بكلِّ معانيها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، وذلك في قوله: «لبَّيكَ اللّهمّ لبَّيك».

هذا، وإنَّ كلمات التَّلبية متضمِّنة لبراهين عظيمة من براهين التَّوحيد الدَّالَّة على وجوب إخلاص الدِّين لله، وتتلخَّص هذه البراهين في أمور خمسة:

الأوَّل: أنَّ الحمد كلَّه لله سبحانه، فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى الحميد في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، المستحقُّ لكلِّ حمد ومحبَّة وثناء لما اتَّصف به من صفات الحمد الَّتي هي صفات الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِّعم الجِزال، فهو المحمود على كلِّ حال، الحميد من جميع الوجوه.

الثَّاني: أنَّ النِّعمة كلَّها لله؛ ولهذا عرَّفها باللَّام المفيدة للاستغراق أي: النِّعمُ كلُّها لك يا الله، أنت موليها ومسديها، والمنعِمُ بها: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل 53]، ونعمه سبحانه على عباده لا حصر لها ولا عدَّ ؛ من جزيل المواهب، وسعة العطايا، وكريم الأيادي، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، وأعظم ذلك هدايته خاصَّته من عبادة إلى سبيل دار السَّلام، إلى غير ذلك من نعمه وعطاياه، أفيليق بأن يُجعل مع من هذا فضله ومنُّه شريكٌ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: 51، 56].

الثَّالث : أنَّ الملك كلَّه لله، لا مالك إلَّا هو، وجميع الأشياء هو المالك لها، المتصرِّف فيها، وفي هذا إثباتٌ لكمال قوَّته وعزَّته وقدرته، وأنَّ علمه محيطٌ بكلِّ شيء وأنَّ مشيئته نافذة، وقدرته شاملة، وحكمته واسعة، وأنَّ له الحكم العامَّ للعالم العلويِّ والسُّفليِّ، والحكم العامَّ في الدُّنيا والآخرة، وأنَّه المتصرِّف في ملكه بما يشاء تصرُّفَ ملكٍ قادرٍ قاهرٍ عادلٍ رحيمٍ حكيمٍ خبيرٍ تامِّ الملك لا ينازعه في ملكه منازعٌ، ولا يعارضه فيه معارض، وهذا من براهين وجوب توحيده كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[الزمر 6]، وقال سبحانه: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون 11] .

الرَّابع: أنَّ هذه التَّلبية متضمِّنةٌ للإخبار عن اجتماع الملك والنِّعمة والحمد لله عزَّ وجلَّ، وهذا نوع آخر من الثَّناء عليه غير الثَّناء بمفردات تلك الأوصاف العليَّة، فله سبحانه من أوصافه العُلَى نوعَا ثناءٍ: نوع متعلِّق بكلِّ صفة على انفرادها، ونوع متعلِّق باجتماعهما، وهو كمال مع كمال.

الخامس: في قوله: «لاَ شَـرِيكَ لَكَ»، وقد تكرَّرت في التَّلبية مرَّتين، مرَّةً عقب إجابته بقوله «لَبَّيكَ»، ومرَّةً عقب قوله: «إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ» فالأوَّل يتضمَّن أنَّه لا شريك له في إجابة هذه الدَّعوة، والثَّاني يتضمَّن أنَّه لا شريك له في الحمد والنِّعمة والملك، وإذا تقرَّر أنَّ الحمد كلَّه

لله، والنِّعمة كلَّها من الله، والملك كلَّه له، ليس له شـريك في ذلك بوجه من الوجوه وجب أن يفرد وحدَه بالتَّلبية والخضوع والمحبَّة والانقياد والإذعان.

وممَّا يُبيِّن أنَّ كلمات التَّلبية كلماتُ توحيد أنَّها تضمَّنت البراءة من الشِّرك أيضـا، فالحاجُّ حين يقول في تلبيته: «لا شـريك لك» يجب أن يكون عالمـًا بحقيقة الشِّرك، مُدرِكـًا لخطره، حذِراً تمام الحذر من الوقوع فيه، أو في شيء من أسبابه ووسائله وطرقه؛ إذ هو أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به، ولهذا رُتِّبَ عليه من العقوبة في الدُّنيا والآخرة ما لم يُرتَّب على غيره من الذُّنوب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء 48]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء 116]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [المائدة 72]، والآيات في هذا المعنى في القرآن كثيرة، يحذِّر فيها الرَّبُّ سـبحانه عبادَه من الشِّـرك، ويُبيِّن لهم شـدَّةَ خطره وعِظمَ مغبَّته، وسوء عاقبته على فاعله في الدُّنيا والآخرة، ولهذا فإنَّ البُعدَ عن الشِّـرك كلِّه وإخلاصَ التَّوحيد لله أصـلٌ يجب أن تُبنى عليه كلُّ طاعة يتقرَّب العبدُ بها إلى الله تعالى، الحجُّ وغيرُه، وقد قال الله تعالى في سـورة الحجِّ: ﴿

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج 27 ـ 31]. فحذَّر سبحانه في هذا السِّياق الكريم المتعلّق بالحجِّ من الشِّرك، وأمر باجتنابه، وبيَّن قبحَه وسوءَ عاقبتِه، كما أنَّه سبحانه قد أمر نبيَّه إبراهيم عليه السلام في الآية الَّتي قبل هذه الآيات بتطهير البيت بعد أن بوَّأه مكانه، ونهاه عن الإشراك به، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، فكانت بذلك الآيات المتعلِّقة بالحجِّ محفوفةً بالتَّحذير من الشِّرك، والنَّهي عنه، وبيان سوء عاقبته، ممَّا يدلُّ أعظم دلالة على شناعةِ الشِّرك وعِظمِ خطورته.

وليقارن الحاجُّ –ويحمد الله– بين النِّعمة الَّتي يعيشها في هذه التَّلبية من توحيد وإخلاص مع الحال الَّتي كان عليها أهل الشِّرك في الجاهليَّة في تلبيتهم فقد كانوا قبل الإسلام يحجُّون البيت ويطوفون ويلبُّون ولكنهم في تلبيتهم يشركون، جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كَانَ الْمُشْرِكُونَ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ يَقُولُونَ «لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ» فيسمعهم

النَّبيُّ ﷺ ويقول : «**وَيْلَكُمْ قَدْ قَدْ**» أي يكفي، لا تزيدوا على هذا فيزيدون: «إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ».

وكلماتُ التَّلبية فيها تحقيق الاستجابة لله تعالى وللرَّسول ﷺ، ولها أثرٌ عميقٌ على الحاجِّ الموفَّق إذا حقَّق التَّلبية وأحسن فيها، فهي تربيه على طاعة الله والاستجابة لأمره، إذ هي الحياة الحقيقيَّة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:24]. ولقد ارتبطتِ التَّلبية بكلِّ أعمال الحجِّ بدءً من انطلاق الحاجِّ من الميقات، وصولًا إلى البيت ثمَّ في التَّنقُّلات بين المشاعر: مِنْ منًى إلى عرفات، ومن عرفاتٍ إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منًى، ففي تلك الأراضي الشَّريفة والبقاع الفاضلة يصدع الحاجُّ بهذه الكلمات: «لبَّيك» يكرِّرها مرات كثيرة، فإذا كان يقولها عن استشعار لمعناها فإنَّها تُعمِّق -ولابدَّ- في نفسه الاستجابةَ لله تعالى، فقد دعاه ربُّ العالمين إلى حجِّ بيته ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ [الحج:27] فقال: «لبَّيك»، فيا مَن دعاك اللهُ للحجِّ، فلبَّيتَ النِّداءَ وجئتَ ميمِّمًا بيتَه العتيق ترجو رحمتَه وتخاف عقابَهُ كيف حظُّك مع بقيَّة الأوامر؟ كيف شأنُك مع الصَّلاة الَّتي هي عماد الدِّين وأعظمُ أركانِه بعد الشَّهادَتين؟ كيف شأنُك مع الصِّيام؟ كيف شأنُك مع

الزَّكاة؟ كيف شـأنُك في البُعد عن النَّواهي وترك المحرَّمات؟ إن كنتَ ممتثلًا فاحمد اللهَ، واسألهُ المزيدَ، وإن كنتَ مفرِّطًا فحاسب نفسَك قبل أن تُحاسَب في يوم الوعيد.

وفي التَّلبية تربية للحاجِّ وتهذيب لنفسه؛ بإصلاحها وإبعادها عن الحرام، ذلك أنَّ الحاجَّ من بداية تلبيته يلتزم البُعد عن جميع المحظورات، قال تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:197] ويقول النَّبيُّ ﷺ : «**مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ من ذنوبه كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» متفق عليه ولهذا تجد الحاجَّ منضبطا في الحجِّ تمامَ الانضباط، ويسأل عن تفاصيل ما يُنهى عنه ؛ فلا يمسُّ الطِّيب ، ولا يأخذ من شعره ، حتَّى إنَّ بعضهم يقول: «حككت رأسي فسقطت شعرة واحدة فهل علي شيء؟» كلُّ ذلك استجابةً لله وبعدًا عن محظورات الإحرام، فإذا كان بهذه الاستجابة تاركا لهذه المناهي، فما شأنه مع العظائم؟ عظائم الذُّنوب، وكبائر الآثام، والبُعد عنها، هل هو مستجيبٌ، أو أنَّ نفسه منفلتةٌ في المعاصي والموبقات؟

ولمَّا خطب النَّبيُّ ﷺ في الحجِّ قال للنَّاس: «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا»

رواه أحمد ، وفي الحجِّ أيضا قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**» متفق عليه.

وفي الحجِّ كذلك قال ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذّنُوبَ» مسند أحمد. فحذر من المحرَّمات والمنهيات وحث على هجرها لأنَّ الحجَّ فرصةٌ عظيمةٌ للانتقال من سيء الحال إلى أحسنه، ومن أعمال سيِّئة ومعاصٍ وذنوب إلى طاعة وحسن تقرُّب لله ﷻ.

وبهذا يتبين أن الحجَّ وما فيه من تلبية واستجابة لله يعدُّ مدرسةً مباركة لتهذيب النفوس وتزكية القلوب وتقوية الإيمان، مما يكون له الأثر العظيم على الحجاج زيادة في الإيمان وقوة في اليقين وتحقيقا للتوحيد وثباتا على الدين.

اللهم يسر لحجاج بيتك حجهم وأتم لهم نسكهم وتقبل طاعتهم، واجعل حجهم مبرورا، واغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.